University of Zawia - Faculty of Arts Journal (UZFAJ)
Volume 24, Issue 1, (2024), pp. 415-428, ISSN: 2521-9235

The Political and Social Conflicts of the Leadership Phenomenon in Libya (1911-1922)

Murad -Qamoudi

Department of History - Faculty of Arts and Sciences - Mislata - University of Al-Marqab
Al-Khums - Libya
EMAIL: murad.alqamoudi.ly@gmail.com

Received: 12/07/2024 / Accepted: 01/09/2024 / Available online: 08/09/2024 / *DOI:* 10.26629/uzfaj.2024.23

ABSTRACT

The research deals with studying the phenomenon of political leadership in Libya, which is one of the major titles that dominated the scene during the period between 1911-1923 and its role in the resistance movement against Italian colonialism in Libya, and the major problems facing any agreement or settlement between local leaderships and the unification of resistance. The importance of the subject lies in the fact that the phenomenon of leadership in Libya and its driving forces are a complex phenomenon linked to the diversity of the social, political and economic structure, and its elements pose a puzzle that is difficult to understand and explain. The process of revealing its complexities and the depth of its complex social depths and knowing its foundations and conditions lies through the structural structure of society in Libya and knowing its diverse social paths in the geographical space according to economic, political and social variables, then the manner and multiple mechanisms by which individuals and groups built their leadership entity within the framework of their political work towards monopolizing leadership, and the country went through a difficult labor between political groups that did not succeed in overcoming the great difficulties that prevented the unification of leadership and the continuation of resistance and ultimately led to political conflicts between leadership groups and the occurrence of social cracks.

Keywords: Social Conflicts - Leadership Phenomenon - Libya

How to cite this article:
The Significance of Advancement and Delay in Grammatical Construction. Univ Zawia Faculty Arts J. 2024; 24:415-428.

"Articles published in *Univ Zawia* Faculty Arts J are licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial 4.0 International License."

المخاضات السياسية والاجتماعية لظاهرة الزعامة في ليبيا (1911–1922)

مراد القمودي

قسم التاريخ –كلية الآداب والعلوم –جامعة المرقب
مسلاتة –ليبيا
EMAIL: murad.alqamoudi.ly@gmail.com

تاريخ الاستلام12 /2024/07 تاريخ القبول:2024/09/01 تاريخ النشر: 2024/09/08م

ملخَّص البحث:

يتناول البحث دراسة ظاهرة الزعامة السياسية في ليبيا التي تعد من بين العناوين الكبرى التي تصدرت المشهد خلال الفترة ما بين 1911–1923 ودورها في حركة المقاومة ضد الاستعمار الايطالي في ليبيا، والمشاكل الجمه التي تواجه أي توافق او تسوية بين الزعامات المحلية وتوحيد المقاومة.

تعد اهمية الموضوع في كون ظاهرة الزعامة في ليبيا وقواها المحركة ظاهرة معقدة ترتبط بتباين التركيب الاجتماعي والسياسي والاقتصادي، وتطرح عناصره لغز يستعصي عن الفهم والتفسير، وتكمن عملية كشف تعقيداتها وعمق اغوارها الاجتماعية المتشعبة ومعرفة اسسها واحوالها من خلال التركيب البنيوي للمجتمع في ليبيا ومعرفة مساراته الاجتماعية المتنوعة في الفضاء الجغرافي وفق المتغيرات الاقتصادية والسياسية والاجتماعية، ثم الكيفية والآليات المتعددة التي كان الأفراد والمجموعات يبنون بها كيانهم الزعامي في إطار عملهم السياسي نحو احتكار الزعامة ،ومرت البلاد بمخاض عسير بين المجموعات السياسية التي لم تنجح في تجاوز الصعوبات الكبيرة التي حالت دون توحيد الزعامة واستمرار المقاومة وادت في النهاية الي صراعات سياسية بين المجموعات الزعامية وحدوث تصدعات اجتماعية.

الكلمات المفتاحية : المخاضات السياسية والاجتماعية ، الزعامة ، ليبيا .

مقدمة

لم تكن القيادة ظاهرة يتحاشاها الكثيرون ،ولكنها الحيز الذي لا يمكن الاستغناء عنه، فهي ظاهرة مرتبطة بالعلاقات فمن دون الأتباع (ماكيافللى ، 1979، 343) لا يمكن إن تكون قائداً بصرف النظر عن كم القدرات الفردية التي يتمتع بها الشخص، فهي تعتمد النشاط التفاعلي بين الفرد والمجموعة مهما اختلف إحجامها وأشكالها وتنوعت الروابط والعلاقات التي يلتف أعضاؤها حول قائد ينجح في تبؤ مكانة الزعيم مادام نشاطه يحقق أدنى درجات المصلحة واللحمة والتكتل ،وأن بناء المجموعة يقوم عموماً على مبدأ بناء الزعامة الذي يأخذ بحسب السياق التاريخي أشكالاً ويعتمد آليات متعددة تشمل أشخاص يتمتعون بشخصية كاريزماتية.

يرى المتمعن في تاريخ ليبيا المعاصر في الفترة ما بين 1911–1923 تواتر الكثير من الإحداث بالغة الأهمية كانت وراء إجهاض حركة المقاومة ،وتظل مشكلة الزعامة في ليبيا من المشاكل التي ظلت أعتاها عن الحل من خلال العلاقة المعقدة التي نشأت في سياق الاحتلال بين الناشطين المحليين وارثهم السياسي الزعامي،وافتقارهم لمرجعية سياسية واضحة ،وانشغالهم في اطار البناء الزعامي الضيق للظاهرة السياسية كانت بمثابة اللغز الذي تستعصي عناصره على الفكيك وتقديم تفسيرات معقولة وتبريرات مقبولة لكل تلك المفارقات الصارخة مؤداها ماهي صيرورات البناء الزعامي في ليبيا ؟ وهل كانت الزعامة حلاً أم مشكلة؟

الخلفية الاجتماعية:

إن المتبحر في البناء الاجتماعي في ليبيا يرى بونا عميقا يفصل بين الكيانات السكانية من حيث سكان المدن والأرياف والمناطق البدوية والصحراوية واختلاف الذهنية والتركيب الديموغرافي لكل الكيانات المتباعدة والمجزآت (الهرماسى ، 1987، ص32)، حيث توزع سكان ليبيا خلال القرن التاسع عشر في الفضاء الجغرافي وفق متغيرات اقتصادية وسياسية وثقافية فغالبية سكان ليبيا بدو رحل أو نصف رحل يتركزون في الدواخل يتنقلون بحسب الظروف شرقاً وغرباً والبعض الآخر يتنقل جنوباً(الأحمر ، 2009 ، ص77)، وهذا بطبيعة الحال لا يسمح للمجموعات القبلية البدوية التنقل باستمرار عبر عدة مناطق إلا وفق نظام محدد احتل فيه البدو مكانة مهمة من حيث المساحة الواسعة وسيطرتهم على أكثر الأراضي الليبية كفاعلين أجتماعيين لعبو دور الوسيط وحلقة الوصل بين الواحات الصحراوية في الدواخل والمناطق الحضرية في الشمال على ساحل البحر ،وسد الفراغ الصحراوي الذي يفصل بين المجموعات المستقرة والمعزولة عن بعضها البعض(الهرماسى ، نفس المرجع ، ص33)،بيد ان السكان الحضريون توزعوا على طول الشريط الساحلي في مدن طرابلس والخمس ومصراته وبنغازي ودرنة، وفي الجبال القريبة من البحر مثل نالوت ويفرن وغريان وفي الواحات الصحراوية غدامس ومرزق وغات ، وتطورت هذه المدن وفق متغيرات اقتصادية وسياسية وثقافية(بن موسى ، 1988، ص170–176).

إما بخصوص المستقرون في القرى والأرياف فأن صعوبة الفصل بين حياتهم وحياة البدو وبالأخص نصف الرحل نتيجة الانحسار والتشتت لمراكز الحياة الفلاحية المستقرة التي نتج عنها علاقات معقدة بين سكان القرى والأرياف (الفلاحين) والبدو سكان المناطق الحضرية فانحصرت الحياة الفلاحية في مساحات ضيقة أدى إلى ارتباطات اجتماعية وسياسية متعددة وغير مستقرة بأنماط الحياة المختلفة من حولها(هلال ، 1967، ص28)، وهذا قد يؤدي إلى وظواهر جديدة، ومرده فقدان الانسجام في القيم بين سكان الحضر والبدو ، والسبب في ذلك طبيعة الحياة الريفية وطبيعة ملكية الأرض وتركيبة العائلة(الأحمر ، نفس المرجع ، ص84)، مما يدل على أن الحياة القبلية والبدوية عموماً بما فيها من صفوف وأحلاف لها علاقة حتمية بالأرض.

في الحقيقه كانت حياة المستقرين في الأرياف والقرى وحياة البدو نصف رحل تتميز بالانفتاح أكثر من انفتاحها على الحياة الحضرية في المدن على المستوى الاقتصادي والتجاري والثقافي هذا التداخل الكبير يصعب معه حسم الفرق بين المجموعات البدوية والمستقرين بل فرضت البيئة الجغرافية على المجاميع السكانية نمط معيشي محدد يقوم على التفاعل مع المحيط(هلال ، نفس المرجع ، ص131)، على الرغم من مبدأ الانقسام والتوحد الذي يتجسد في الكيانات الاجتماعية المتحالفة والمتناحرة تضل محافظة على الاستقرار والتواصل الاجتماعي .

تكتسي المبادئ العامة المشتركة بين البدو أهمية قصوى في حرية عقد تحالفات سياسية جديدة أو إحياء القديم منها أو الخروج عن التحالف غير المثمر، فالزعامة عند البدوي ترتكز على خصال شخصية يكتسبها الزعيم عن تجربة قيادية متفردة باستقلالية النشأة القاعدية للزعيم البدوي في إطار تكيف علاقاته بالزعماء الآخرين من الحجم المحلي أو الجهوي(الأحمر ، نفس المرجع ، ص146).

في الواقع شهدت ليبيا في النصف الأول من القرن التاسع عشر حروب داخلية وخارجية(ميكاكي ، 1911، ص228) كان لها اثأر كبيرة على التركيبة الديموغرافية للسكان بسبب هجرة عدد كبير من القبائل.

البناء الزعامي للمجموعات السياسية:

لاشك إن أي حركة اجتماعية تفرز قيادات تعكس طبيعة توجهها كانت نتاج البيئة الاجتماعية وتدخل عناصر عدة في تكوين، وبلورة ظاهرة الزعيم السياسي بل وفي استنباط الخصال الاستثنائية لشخصيته واختراع الأسباب المفارقة لتزعمه ، وإحاطته بهالة من مظاهر العظمة والجلال التي تخرجه من دائرة المشروطيه الاجتماعية بحيث تتحول إلى شخصية كارزميه.

ورغم ذلك تدخل في عملية بناء الزعامة متغيرات عدة ومترابطة منها ما يتعلق بالتجربة الاجتماعية الخاصة بالزعيم في حال نجاحه أو فشله في فرض شخصيته القيادية المتفردة داخل الإطار الاجتماعي الذي يعيش فيه ومنها ما يتعلق بنوع الزعامة دينية أو بدوية أو حضرية وفق المعايير والقيمة التي تحدد ملامح الزعيم في النسق السياسي هو وإتباعه تمنحه السلطة أو الهيمنة السياسية ويمكن أن تكون مطلقة أو تكييفها بحسب نوع الزعامة، وتنشأ عن طريق الغصب والغلبة أو آلية الاحتكار المادي والرمزي من طرف عائلات دون غيرها لعملية إنتاج الزعماء(الأحمر ، نفس المرجع ، ص72).

لقد دخل السنوسيون(شكري ، 1948، ص17-23) برقة بصفتهم مجموعة دينية طرقية لا تربطهم بالمجموعات المحلية أي شبكة قرابيه ولم يحلوا في أرضها بصفتهم مجموعة توسعية غاصبة ،هذا ما يفسر الاستقبال الحماسي للسنوسية وطمئن الزعماء المحليين في عدم اكتساب السنوسيين النفوذ والهيبة على حسابهم(بروشين، 2001، ص 341)، كما ساعد على انتشار الطريقة السنوسية وتوسع نفوذها في برقة وتكيف نشاطها مع النظام القبلي في الوسط البدوي، واختراقها حواجز الزعامة المحلية (شكري ، نفس

المرجع ، ص 26) فلم يتبلور المشروع السنوسي إلا بعد تجذر الإخوان اجتماعياً في برقة فقامت بإدماج البدو واستخدامهم في الدفاع عن مصالحها الضيقة فظل الزعماء السنوسيين شيوخ زوايا وطرقيين جمعوا الناس من حولهم دون اعتماد الغلبة أو الغصب في تشكيل مجموعة الإخوان التي تزعموها تحت ستار تعاليم الإسلام وبالاستخدام الواسع لتقديس المرابطين فهي تضرب بجذورها في حقول الدين وتتغذى من شعائره وتعتاش على طقوسة وتتطفل على رموزه (بروشين ، نفس المرجع، ص 340)، وقام السنوسيون بإضفاء صفة الطبيعية على علاقات الاستغلال داخل القبيلة وغلفوها بالأقنعة، وبذلك استقطبوا إلى جانبهم الفئة القبلية العليا التي بدأت تكتسب صفة الإقطاع، فالحركة السنوسية لم تخرج في شكلها أو في كيانها عن إطار الحركات الإيديولوجية والسياسية لعصر الإقطاع (المرجع نفسه، ص 340).

لأريب إن المشروع الديني السياسي للسنوسية ومريديها يقوم على احتكار الثروة (تشير المصادر إلى أن اقتصاد الزوايا المنشرة في الأراضي الزراعية والرعوية ، والواقعة على طرق القوافل التي تحولت الى مراكز) والنفوذ والزعامة لخلق مركز للاستقطاب الاجتماعي والسياسي الذي يفوض لها مقاليد السلطة السياسية وتمنحها الشرعية الدينية فحسب بل تضفى عليها هالة القداسة وتروج لها دعاوى الالوهية.

أعلن في المنطقة الشرقية أحمد الشريف السنوسي سنة 1913 عن تشكيل حكومة سنوسية تتولى شؤون مواصلة المقاومة تحت قيادة موحدة الحرب على ايطاليا، وبذلك انسلخت الزعامة السنوسية عن خصائصها الطرقية (المرجع نفسه ، ص 345)، بينما انكشف في المنطقة الغربية لدى الزعماء المحليين البناء الزعامي الضيق للظاهرة السياسية، ولم تسمح للنسق الزعامي بخلق فضاء سياسي متجانس لصالح هيمنة مجموعة زعامية بعينها لاتخاذ موقف موحد (هويدي، 1988، ص42) بعد انسحاب الضباط العثمانيين من ليبيا على أثر توقيع معاهدة (أوشى لوزان) في 18 أكتوبر 1912 (حميدة، 1998 ، ص92) بين الدولة العثمانية وإيطاليا وجدة الزعامات المحلية نفسها وحيدة في مواجهة القوات الإيطالية، فكيف يمكن للزعماء المحليين التعامل مع الفراغ السياسي الذي تركه الانهيار المفاجئ للنواة القيادية الموحدة التي مثلتها الدولة العثمانية؟ فانقسموا إلى فرق عدة (الوافي ، 1980)، فريق وقف على الحياد داخل نطاق نفوذه يترقب ما ستاؤل إليه الإحداث لاتخاذ موقف محدد، وفريق أراد الرضوخ إلى التفاوض مع إيطاليا لإيجاد حل سلمي والتمسك بحق الاستقلال السياسي والإداري الذي أعلنه السلطان العثماني، إما الفريق الآخر تمسك بخيار الاستمرار في المقاومة .

حاولت الزعامات المختلفة باختلاف مصالحها ومواقفها من حركة المقاومة بناء أطر تنظم من خلالها حركة المقاومة ليشكلوا حكوماتهم القبلية كلاً في نطاق نفوذه واتضحت معالم هذه الحكومات واستقلاليتها بشكل أكثر في سنة 1915. فاستغل عبد النبي بلخير موقع بني وليد الاستراتيجي في تحقيق طموحاته الشخصية لكي يلعب دور الزعيم في محيط جماعته، فلم تكن له أي طموحات إقليمية بدافع الحفاظ على

مصالح قبيلته ورفله التي كانت عنده فوق كل اعتبار ويعكس ذلك استقلالية القبيلة عن أي تجاذبات خارجية (الزاوى، 1973، ص 161-164).هذا ما يفسر ظاهرة العزلة البدوية ظاهرة اضطرارية.

لقد كانت عائلة سيف النصر من قبائل أولاد سليمان يغلب عنصر البداوة على حياة أفرادها يتنقلون منً سرت إلى فزان حتى تشاد متوغلين في الصحراء ولم يكن لهم علاقات مكثفة مع المستقرين من غير سكان الواحات، فهم بعيدين عن مواطن السلطة (المرزوقي، 1975 ، ص 52-62)، وبالتالي فهم غير معنيين بما يحدث من تجاذبات سياسية حولهم إلا في نطاق نفوذهم. فعبد الجليل سيف النصر بسبب رفض الاعتراف به كزعيم على فزان قاد سنة 1832 انتفاضة ضد القرمانليين، واستمر في انتفاضته حتى عودة طرابلس للحكم العثماني المباشر سنة 1835 (عرابي رقم 60، ص35) لتأمين شروط استمرار زعامة العائلة في المنطقة، وتعتبر عائلة سيف النصر بوصفها بيت رئاسة من بين العائلات التي تشكل مجموعة أولاد سيف النصر، ورث عبد الجليل بيت رئاسة استطاع أفراده بشكل أو بآخر من تخطئ كافة عوامل التصدع الداخلية في العائلة.

ورث أحمد المريض عن أبيه زعامة قبيلته العواسة ، وبفضل شخصيتة البرغماتية في قيادة القبيله استطاع كسب شعبية كبيرة بين قبائل ترهونة مكنته من تبؤ مركز الزعامة فيها (ميكاكي ، نفس المصدر ، ص 228- 236) بل إن أحمد المريض بعلاقتة الجيدة بآل المنتصر بترهونة سهلت له الطريق للدخول في علاقات مع الولاة الإيطاليين في تلك الفترة فاعتمدوا عليه في العمل السياسي (المريض وثيقة رقم 19).

قام سليمان الباروني بعد توقيع معاهدة أوشي لوزان، بالاتصال بفرنسا طلباً للحماية الفرنسية على طرابلس فلم تثمر تلك الاتصالات عن شيء (Gabell,LA القمودي 1983)، وحاول تزعم حركة المقاومة وتشكيل حكومة بالجبل، لكنة فشل في مواصلة المقاومة وتفككت أوصال حكومته بعد معركة جندوبة سنة 1913 (للدراسات التاريخية، من 168)، وتخلى عنه بعض من انظم إليه بسبب توزيع المناصب على الزعماء الذين كانوا في صفه، هذا بالإضافة إلى اتهامه باحتفاظه بالأموال التي تحصل عليها عن طريق جمع الزكاة والإعانات المختلفة ، وأموال أخرى تلقاها من الإيطاليين (الباروني ، 1964، ص 465)، وهذا يؤكد حقيقة من انظم إليه بأنهم كانوا يسعون للحصول على نصيبهم من الأموال التي كانت لدى الباروني، وبذلك جمعهم المال ثم فرقهم .

سافر سليمان الباروني سنة 1913 إلي اسطنبول ثم عاد في سنة 1916 إلى ليبيا بفرمان من السلطان العثماني لتعيينه والياً وقائداً عاماً بطرابلس وشكل حكومة وطنية في مدينة الزاوية(المصدر نفسه، ص 466).

لم يكن تزعم آل كعبار غريان بالجبل الغربي قبل الغزو الإيطالي الا عن طريق إدارتهم للمنطقة كموظفين في الايدارة العثمانية ، واستمر الهادي كعبار تزعمه للمنطقة أثناء الغزو الإيطالي (إبراهيم ،

1956، ص 126)، كما استغلت عائلة كعبار نفوذها السياسي في المنطقة إلى أكبر درجة ممكنه في الاستحواذ على مساحات شاسعة من الأراضي الزراعية باسم العائلة مما خلق الضغينة في نفوس بعض أعيان المنطقة أمثال عاكف مسيك ونافع المبروك بالتعاون مع الحكومة الإيطالية للحصول على مكاسب كبيرة ومنافسة نفوذعائلة كعبار. (الزاوي ، نفس المصدر ، ص 173)

لقد ورثة عائلة عون سوف المحمودي بيت رئاسة شبيه إلى حد كبير بعائلة عبد الجليل سيف النصر، وحاولت بكل قوة الحفاظ على مركزها في تزعم العائلة ثم المنطقة ككل بالرغم من المحاولات العثمانية من نزع رئاسة المحاميد عن عائلة عون إلى عائلة أخرى، وواجهة عائلة عون كل تلك المخططات التي تهدف إلى تفكيك عوامل الرئاسة من البيت الذي كان يتزعمه غومة المحمودي بكل قوة (حميدة، نفس المرجع ، ص 159)، وبعد اتفاقية لوزان سنة 1912 وهزيمة المقاومة إمام التفوق العسكري الإيطالي انسحب سوف المحمودي إلى تونس، ومنها الى منفاه في سوريا. (الطوير)

وفي خضم الأحداث التي عاشتها البلاد عاد سنة 1916 سليمان الباروني يحمل صفة نائب للسلطان العثماني في طرابلس، وأتخذ من العزيزية مقراً لحكومته، ومنطلقاً لعمليته السياسية بحسب ما تقتضيه شروط الزعامة الجهوية فبدأ في تدعيم مركز أسرته وقبيلته باعتماده على المقربين منه في إدارة شؤون المنطقة، وإزاحة البعض من مناصبهم الإدارية مما أدى ذلك ببعض ممن فقدو بهذه السياسة مراكزهم إلى البحث عنها لدى الحكومة الإيطالية أمثال سلطان بن شعبان ويوسف خريبيش وحرب النائلي الذين ساعدو القوات الإيطالية في إعادة احتلال مدينة زواره (مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية 1988 ص 50-397).

لم يكن لدى عائلة السويحلي في مصراته أي ثقل أو نفوذ قبل الغزو الايطالي فلم تتول العائلة أي مناصب أو وظائف في الإدارة العثمانية بليبيا(الزاوي، نفس المصدر، ص 233)، بل كانت عائلة المنتصر من أقوى العائلات نفوذاً في مصراته لما تتمتع به من ثروة ، مما أهلها لتولي مناصب إدارية (المصدر نفسه ، ص232).

لقد ظهر رمضان السويحلي لأول مره كزعيم لمصراته عندما قاد محلة (المصدر نفسه ، ص238- 239) مصراته في معركة الهاني سنة 1911 بداية الغزو الإيطالي، وأصبح في سياق الاحتلال أحد أشهر زعماء مصراته.

بيد أن رمضان السويحلي استولى على معظم غنائم معركة القرضابية من أموال وتموين وذخيرة ومعدات حربية بنادق ومدفعية، وأصبح رمضان السويحلي بهذه الغنائم التي زادته قوة ونفوذ يتطلع إلى أقامه إدارة محلية وجبي الأعشار وجمع الإعانات وتعين موظفين موالين له وعزل آخرين وكسب أنصار ومؤيدين في كثير من المناطق ومدهم بالأموال والسلاح فأعلن في أغسطس 1915 عن تأسيس حكومة في مصراته (فشيكة، 1974 ، ص25).

وفي أيطار دعم الدولة العثمانية لحركة المقاومة بعد انضمامها إلى ألمانيا في الحرب العالمية الأولى وجدة في رمضان السويحلي الشخصية الطموحة لقيادة المقاومة بعد أن فشلت في مخططاتها في المنطقة الشرقية بدعم أحمد الشريف السنوسي بالهجوم على القوات الإنجليزية في مصر وهزيمة أحمد الشريف (الزاوي، نفس المصدر ، ص231)، حيث استفاد رمضان السويحلي من الدعم المادي والسياسي والعسكري الذي قدمه العثمانيين عن طريق الغواصات الألمانية التي كانت تصل تباعاً إلى ميناء مصراته (القمودي، 2009)، فقد كان رمضان السويحلي أكثر استفادة من الزعماء الآخرين من غنائم القرضابية والدعم العثماني الى حد كبير خصوصاً انه قوى به نفوذه مما زاد من سعة افقه وتجاوزت تطلعاته مصراته الى زعامة المنطقة الغربية، فدخل في حروب وصراعات مع جيرانه، فاصطدم في سرت مع السنوسيين الذين كانوا من جانبهم يسعون إلى توسيع نفوذهم في المنطقة الغربية عن طريق الزعامة الدينية الطرقية (الزاوي، نفس المصدر ، ص 281)، واستطاع رمضان السويحلي حسم الصراع بالقوة المسلحة كما دخل رمضان السويحلي في حروب لبسط نفوذ حكومته على مسلاتة مع أحمد المريض زعيم ترهونة(القمودي ، نفس المرجع ، ص 116- 125)، والأكثر من ذلك أن نفوذ حكومة رمضان السويحلي تجاوز المناطق المجاورة لكسب موالين وأنصار لسياسته ليصل إلى فزان التي كانت تحت إدارة خليفة الزاوي الذي تلقى الدعم الكامل من رمضان وحكومته (المرجع نفسه ، ص 213).

تمتع خليفة بن عسكر بشخصية قوية ومكانه مرموقة بين أنصاره بنالوت والقرى المحيطة بها وأصبحت له مهابة يحسب لها حساب في تلك المنطقة لما أبداء من شجاعة في مقاومة الغزو الإيطالي ثم الفرنسي في الجنوب التونسي (المرجع نفسه ، ص 214). وقاد حركة المقاومة في المنطقة الجنوبية الغربية من غدامس إلى نالوت ثم قاد الهجوم على الحاميات الإيطالية في الجبل الغربي تزامناً مع الانتفاضة في فزان سنة 1914 وبداية انسحاب الحاميات الإيطالية من الدواخل إلى المدن الرئيسية في الساحل (الزاوي ، نفس المصدر ، ص 304).

إن ما يهمنا في العرض السابق هو إعطاء صورة بشكل أوضح لخارطة توزيع اللاعبين الأساسيين ومناطق نفوذهم وهم يخوضون نشاطهم السياسي في سياق الاحتلال وفق مقاربة تعطي أهمية كبيرة لفعل الزعماء ولتعدد استراتيجياتهم ولهامش الحرية الذي يتمتعون به في تحديد سلوكهم وأهدافهم، بالرغم من اختلاف المواقف التي اتخذها هولا الزعماء الذين شاركوا في الأحداث إلا أنهم اشتركوا في نفس الخصائص السياسية تقريباً ، ففي جميع الحالات كان المبدأ الأساسي في العمل السياسي للزعماء هو بناء المجموعة السياسية التي يتمتع كل منهم داخلها بأحسن شروط الزعامة المحلية معتمدين في ذلك على توسيع مناطق نفوذهم على حساب الآخرين.

التصدعات الاجتماعية والصراعات السياسية :

أن حالت الارتباك السياسي الكبير في خصوص عملية تحديد آليات موحدة للمقاومة بين المنطقة الشرقية والغربية زادة تعقيداً بعد خروج أحمد الشريف من المشهد السياسي عندما تورط في حرب خاسره مع الإنجليز دفعه إليها الضباط العثمانيون، مما أدى إلى أنهاك أحمد الشريف وجيشه، وأصبح غير قادر على مواصلة القتال ودب الخلاف مع أبن عمه محمد إدريس السنوسي فغادر البلاد إلى إسطنبول(القشاط ، 1980، ص 2) ، وحسم أمر زعامة السنوسيين إلى محمد إدريس الذي دخل في مفاوضات مع المحتل الإيطالي والإنجليز أسفرت عن توقيع اتفاق عكرمة سنة 1917 مع الإنجليز كان أهم بنوده خروج الضباط العثمانيون من برقة نهائياً وضمان الحدود المصرية من دخول أي مقاتل سنوسي في المستقبل (المرجع نفسه ، ص 100). إما بخصوص الاتفاق مع الحكومة الإيطالية فقد كان أشمل من حيث التفاصيل وعلى مراحل اتفاق الزويتينة سنة 1916 وأهم ما نص عليه إيقاف القتال بين الطرفين، ونزع أسلحة المقاومين وحل كافة الوحدات المقاتلة التي شكلها السنوسيون وإعفاء الزوايا السنوسية من الضرائب، واعتراف الحكومة الإيطالية بسيادة محمد إدريس على برقة ومنحه صفة أمير برقة سنة 1920 في اتفاق الرجمة، بالإضافة إلى بعض المزايا السياسية والمنح المالية (هويدي، نفس المرجع ، ص 65)، ويمكن القول أن هذه الاتفاقيات أعطت لمحمد إدريس السنوسي هوية سياسية مستقلة عن مرجعيته الطرقية الدينية ضمن حدود معينة، وقطعت الطريق إمام أي أمل في توحيد المقاومة بين الشرق والغرب أو على الأقل استمرارها.

بيد أن المعضلة الأساسية التي واجهت الزعماء المحليين في طرابلس آلية تجاوز الانقسام والتشذي السياسي باعتبار البلاد ساحة مفتوحة لنشاط جميع الزعماء المحليين دونما اعتبار لخصائصهم مع توقف المقاومة في ظل وضع أصبح فيه الزعماء حبيسي مناطق نفوذهم دون تحريك ساكناً مع سعي كل منهم إلى زيادة نفوذه على حساب منافسيه .

وفي ظل هذا المناخ الغائم كان الصراع على الزعامة بمستوها المحلي والجهوي على أشدة في الوقت الذي كانت فيه القيادة العثمانية في ليبيا تحاول إيجاد مخرج لكل المشاكل التي من بينها مسالة ملء الفراغ السياسي الذي سيخلفه تخلي الدولة العثمانية نهائياً عن ليبيا بعد خسارتها في الحرب العالمية الأولى طرح خيار تشكيل حكومة وطنية تجمع كافة الزعامات المحلية، وفي خطوة سريعة وجريئة تم في 16 نوفمبر 1918 الإعلان عن (الجمهورية الطرابلسية) (ميخائيل، 1970 ، ص 65)كبديل للحل السياسي، ومن غير المفيد هنا التوسع في التفاصيل والملابسات التي رافقت ظهورها.

لقد تم دعوة جميع الزعماء المؤثرون في المشهد السياسي والناشطون السياسيون في مؤتمر عقد في مسلاته(تضمن الاتفاق منح شهرية لإدريس السنوسي وعائلته، وتتولى الحكومة الإيطالية دفع مرتبات جيش وشرطة حكومة برقة، وكذلك). حيث واجه الحاضرون أخطر مشكلة هي انتخاب رئيساً للجمهورية ، ولكن الرغبة كانت ملحة لدى جميع الزعماء وتناسوا خلافاتهم ولو لحين لإيجاد حل أو مخرج لأنقاض ما

يمكن أنقاضه ولكن دون المساس بكيانهم الزعامي لان فكرة الجمهورية كانت مفاجئة بالنسبة إلى كثير من الزعماء.(الزاوي، نفس المصدر، ص 325)

وعلى أي حال اتفق الجميع بعد مداولات على ألا تسند رئاسة الجمهورية إلى شخص واحد بل إلى مجلس يتألف من مجموعة زعماء يطلق علية اسم مجلس الجمهورية تربع عليه أربع زعماء هم رمضان السويحلي من مصراته وعبد النبي بلخير من بني وليد وسليمان الباروني من الجبل الغربي وأحمد المريض من ترهونة. ثم قرر الحاضرون تشكيل مجلس شورى (برلمان) مكون من أربعة وعشرون عضواً برأسه محمد سوف المحمودي (ردولفو غراتزياني)، وبعد الانتهاء من توزيع المهام والاختصاصات داخل الإطار التنظيمي للجمهورية أصدر قادة الجمهورية بلاغات إلى حكومات إيطاليا وفرنسا وانجلترا والولايات المتحدة الأمريكية للاعتراف بالجمهورية كممثل شرعي للأهالي في المنطقة الغربية.(والإعلان بنغازي 1998 ص 26-31)

كان مشروع الجمهورية مشروع محاصصة من خلال توزيع المناصب والوظائف على الجميع لإرضاء كافة الأطراف التي كان لها تأثير على الساحة المحلية، وأنصرف الجميع كلاً في نطاق نفوذه مستغلاً مركزة في تقوية كيانه المحلى، بينما لجاء أوليك الذين لم يحصلوا على نصيبهم من المناصب والوظائف في الجمهورية إلى السلطات الإيطالية لمساعدتهم في الحفاظ على زعامتهم. وبعد أسابيع من إعلان الجمهورية استعادة القوات الإيطالية سيطرتها على مدينة الزاوية بمساعدة زعماء محليين كخطوه أولى قام بها القادة العسكريون الإيطاليون في طرابلس رفضاً لمطالب الجمهورية.(الزاوى، نفس المصدر، ص 320-332، عارف، جميل، مذكرات)

وبالرغم من رفض الحكومة الإيطالية في روما الاعتراف بالجمهورية أو بسيادتها على المنطقة الغربية ، ولكنها قبلت الجلوس مع ممثلي الجمهورية للتفاوض لعلها تستطيع السيطرة على البلاد

بواسطة الزعماء وبدون القيام بعمليات حربية(عزام ، بدون تاريخ ، ص 210-212) ، ولم يكن ذلك في تقديري إلا مراوغه لكسب الوقت وإعادة ترتيب أوراقها بعد خروجها من الحرب العالمية الأولى منتصرة، ولكنها منهكة. بالإضافة إلى مشاكلها الداخلية حول سياساتها في طرابلس، ومع ذلك حتى ولو قبلت الحكومة الإيطالية التفاوض مع الجمهورية يبقى الرهان على اعتراف دولي أو حليف قوي له جانب كبير من الأهمية لتنفيذ أي اتفاق يمكن التوصل اليه في المستقبل كوسيلة ضغط على الحكومة الإيطالية (المصدر نفسه، ص 330). وفي 18 أبريل 1919 اجتمع الزعماء مع سلطات الاحتلال في خلة الزيتونة خرج منه الطرفان باتفاق عرف بصلح سواني بن يادم تضمن القانون الأساسي يضمن فيه سكان طرابلس بعض الحقوق المدنية والسياسية كاحترام العادات والتقاليد المحلية وتشكيل حكومة محلية تتولى إدارة الشؤون العامة تحت السيادة الإيطالية (عارف ، نفس المصدر ، ص 214)، وفي محاولة يائسة أنشئت في 30 سبتمبر 1919 هيأة جديدة عرفت بحزب (الإصلاح الوطني) برئاسة رمضان السويحلي

وأحمد المريض تلخصت أهم المبادئ التي نادت بها احترام الحقوق الأساسية التي منحها القانون الأساسي للطرابلسيين وتحقيق العدالة والمساواة بين العرب والإيطاليين (الزاوي نفس المصدر، ص 333)، بيد أنه لم يجتمع باقي الزعماء على كلمة سواء فقد ظل سليمان الباروني وعبد النبي بلخير أبرز أعضاء مجلس رئاسة الجمهورية خارج هذه الهيئة وغير معنيين بأي اتفاق.

في الحقيقة يعد ما حققه الزعماء انجاز كبير ومكسب عظيم للمقاومة فيما لو استغل الاستغلال الأمثل ووظف لتحقيق غايات لا طالما ضحو من اجلها، ولكن المحتل الإيطالي خلال فترة وجوده استطاع أن يدرك التناقضات الاجتماعية والسياسية في المنطقة الغربية، واستغلت الحكومة الإيطالية الوضع السياسي المهتريء بين الزعماء وتشبت كل واحد منهم بنفوذه واستقلاله المحلي حتى ولو أدى ذلك إلى التحارب، فاتجهت بعد اتفاقية الصلح إلى سياسة الزعماء عن طريق المساومات والإغراءات لمن لهم علاقة بالحكومة الإيطالية هذا من جهة ، ومن جهة أخرى اتبعت سياسة الدس والمؤامرات لمن ناصبها العداء (Lisa Anderson. 1986, P 208)، ولجأت إلى سلاح المال لإفساد ذمم بعض الضباط في جيش الجمهورية ، ونجحت في اختراق البنية الاجتماعية وإثارة الخلافات بين كثير من الأعيان والزعماء وتسليط بعضهم على بعض (Lisa Anderson, P209)، واتضحت بذلك اتجاهات ومواقف بعض الزعماء بعد تلك المكاسب التي حققوها – الجمهورية ثم القانون الأساسي الذي دل على قصوره وذهبت معها شعارات الاستقلال وتقرير المصير إدراج الرياح.

ولعل أبرز الصعوبات الجمة التي واجهها الزعماء القبول بمبدأ توحيد الزعامة ، وفي وضع آليات تنظيمية تسمح لهم بتحقيق أدنى درجات التنسيق بين أفعالهم ورغباتهم خلال ممارستهم العمل السياسي.

وفي خضم الأحداث تطور التنافس على مصالح شخصية ذاتية وخلافات أسرية، وعلاقات ثأرية أحيت الصراعات القديمة بين الصفوف والتحالفات القبلية فاندلعت الحرب في الجبل الغربي بين المجموعات التي يتزعمها سليمان الباروني، وتلك التي تزعمها محمد فكيني وعلي الشنطة والغريب أن كل هذه المجموعات طلبت من قوات الاحتلال مساعدتها ضد خصومها (الزاوي نفس المصدر، ص 339). بينما أصبح التنافس على أشدة بين الزعماء على أسلحة الجمهورية التي خلفها العثمانيون، ووجدت الحكومة الإيطالية الفرصة سانحة لخلق معارضة بين عدد من الزعماء المحليين وإحياء الخلاف القديم بين رمضان السويحلي وأحمد المريض الذي رفض أن تصبح ترهونة تابعة لمتصرفية الخمس أي رفضه رمضان كمتصرف حسب التقسيم الإداري الذي نص عليه القانون الأساسي.

فرأت الحكومة الإيطالية دعم أحمد المريض في هدوء (المصدر نفسه ، ص 378)، بيد أن أحمد المريض سعى لإضعاف خصمه بالحفاظ على علاقاته مع الحكومة الإيطالية والسنوسية أعداء رمضان السويحلي مما سيهيئ إلي إحداث شرخ بين ما تبقى من زعماء الجمهورية (Gabell op, cit, p51)، وفي نفس السياق توترت العلاقة بين رمضان السويحلي وعبد النبي بلخير فالأخير يعمل على

إضعاف خصمه وكبح جموح طموحاته في التوسع من خلال اتصالاته بالسنوسية وعائلة المنتصر العدو الأساسي لرمضان السويحلي الذي سلبها مركزها السياسي والاجتماعي في مصراته، وناصبت رمضان العداء منذ اتهامه بمقتل أبو القاسم المنتصر سنة 1909 (فشيكة ، نفس المرجع ، ص25)، بل أنها سعت حثيثاً لتأخذ بثأرها منه بكل الوسائل، لهذا تواطأت عائلة المنتصر بشكل علني مع المحتل، فساعدت الجيش الإيطالي على احتلال مدينة طرابلس فهي لم ترى في تعاونها مع الحكومة الإيطالية إلا وسيلة للمحافظة على مركزها ونفوذها الذي كانت تتمتع به في السابق وحماية مصالحها الاقتصادية (التمرد في طرابلس 1915 ، نفس المصدر ، ص 34)، فلم ينتظر رمضان السويحلي طويلاً للقضاء على خصومه وقام بهجوم فاشل على عبد النبي بلخير في بني وليد أدى إلى مصرعه في 24 أغسطس 1920.

تعد الصراعات السياسية التي حدثت بين أقطاب الجمهورية الطرابلسية سبب في تلاشي عملها كجسم من الناحية العملية، لهذا جات الدعوة لعقد مؤتمر غريان في نوفمبر 1920 كمحاولة أخيره من زعماء المنطقة الغربية لأنقاض ما يمكن أنقاضه، وتجربه من سلسلة التجارب السابقة في توحيد المقاومة، وناقش المجتمعون في المؤتمر جمله من القضايا كان في مقدمتها إخماد الحرب الأهلية في الجبل، والنظر في ترتيب علاقاتهم بالمحتل، ولكن الحاضرون في المؤتمر لم ينجحوا في القضية التي عقد من أجلها المؤتمر وهي المصالحة بين أطراف الحرب الدائرة في الجبل. فقد تغيب عن المؤتمر الخصمان الرائسين سليمان الباروني ومحمد فكيني، أما فيما يخص العلاقة السياسية بالمحتل، فقد توصل الحاضرون إلى تشكيل لجنة سياسية جديدة سمية بهيئة (الإصلاح المركزية) التي شكلت وفداً للتفاوض مع الحكومة الإيطالية لاحترام قرارات صلح سواني بن يادم (الزاوي نفس المصدر، من 419- 423).

غير إن ما يثير الانتباه في هذا المؤتمر أن المجتمعين أثاروا موضوع وحدة الزعامة من جديد ففي حين أدت الحرب الأهلية المشتعلة بالجبل الغربي إلى هزيمة تحالف خليفة بن عسكر وسليمان الباروني ونزوحهم إلى الساحل مما أدى إلى تعاونهم مع الحكومة الإيطالية لهزيمة خصومهم والعودة إلى أراضيهم في الجبل ، ولكن الحكومة الإيطالية قامت بالقبض على خليفة بن عسكر أثناء التفاوض معه، ونفذ فيه حكم الإعدام في سبتمبر 192 (القشاط ، نفس المرجع ، ص 192- 195).

لقد أصبحت كل المشاريع السياسية التي تستهدف تقليص المسافات الفاصلة بين الزعماء معطلة بل تكاد تكون معدومة بعد مقتل رمضان السويحلي وخليفة بن عسكر وخروج سليمان الباروني من البلاد إلى المنفى وانعزال عبد النبي بلخير عن ما يجري ، وبالتالي انهيار المقاومة وأصبح البحث عن حل ممن تبقى من الزعماء ضياع للوقت وتجربه من سلسلة التجارب السياسية الفاشلة.

إن الخلاصة التي يمكن أن نخرج بها مما تقدم ،هي إن ثقافة وذهنية المجتمع والانفصالات المكانية وظهور فجوات في التركيبة الديموغرافية لم تتمكن من خلق نموذجها الزعامي ،حيث خرجت زعامات من

رحم تركيبة ديموغرافية معقدة تتميز بالتناقض الذي يصعب في بعض الأحيان حسمه، فلم تكن لحركة المقاومة إي أرضية أو أفق إيديولوجي يوحد كل تلك الانفصالات والمجالات المكانية لكي تستطيع ترجمة أفكارها إلى واقع سياسي عملي ،ولم يكن لدى الزعماء المحليين رؤية تمكنهم من تجاوز الصعوبات التي يواجهونها في حدود البناء الزعامي اثناء ادائهم نشاطهم السياسي ، ولم ينجح أي فريق منهم الحفاظ علي وحدته ، أو تحويل موقفه إلى واقع عملي بل ظلت مشكلة شرعية الزعامة السياسية الموحدة قائمة ،وعمقت الانقسام داخل القيادة الواحدة وأججت الخلاف من اجل رغبة القيادة وشهوت السلطة ، ودخلت البلاد في صراع جدلي بين من يسوس ومن يطيع .

هوامش البحث :

1. إبراهيم ، أبي البقضان، سليمان الباروني باشا في أطوار حياته ، المطبعة العربية الجزائر 1956.
2. الأحمر ،المولدي ،الجذور الاجتماعية للدولة الحديثة في ليبيا ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 2009 .
3. الباروني ، زعيمة سليمان ، صفحات خالدة من الجهاد، مطابع الاستقلال القاهرة ، 1964.
4. بروشين، نيكولاى ايلينش، تاريخ ليبيا الحديث، ترجمة عماد حاتم ، دار الكتاب الجديد المتحدة، الطبعة الثانية، بيروت 2001.
5. بن موسى ، تيسير ،المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني ، الدار العربية للكتاب ،ليبيا 1988.
6. التمرد في طرابلس 1915، وثائق وزارة المستعمرات الإيطالية، ترجمة شمس الدين عرابي مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية شعبة الوثائق الأجنبية، ملف بحوث ومقالات مترجمة، رقم 60.
7. حميدة، على عبد اللطيف المجتمع والدولة والاستعمارفي ليبيا منشورات مركز دراسات الوحدة العربية بيروت الطبعة الثانية 1998 .
8. ردولفو غراتزياني، برقة الهادية ترجمة إبراهيم سالم بن عامر، الدار الجماهيرية للنشر والتوزيع
9. الزاوى، الطاهر أحمد، جهاد الأبطال في طرابلس الغرب، دار الفتح بيروت 1973.
10. شكري ، محمد فؤاد ،السنوسية دين ودولة، دار الفكر القاهرة 1948.
11. عبد الرحمن عزام ، المكتب المصري الحديث ، بدون تاريخ .
12. الغرب 1835-1858 ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية 1988 طرابلس.

13. فشيكة، محمد مسعود، رمضان السويحلي ، مكتبة الفرجاني طرابلس – ليبيا 1974 .
14. القشاط ، محمد سعيد ، خليفة بن عسكر الثورة والاستسلام ، المنشأة الشعبية للنشر والتوزيع والإعلان ، طرابلس 1980،.
15. القمودي محمد صالح اتصالات الباروني بفرنسا خلال فترة الجهاد الأولى، مجلة الشهيد العدد الرابع 1983، مركز جهد الليسين
16. القمودي، مراد أبو عجيلة، حكومة مصراته الوطنية وأثرها على حركة الجهاد في ليبيا (1914-1922) ، مكتبة الزحف الأخضر للنشر والتوزيع، مصراته 2009.
17. المرزوقي، محمد عبد النبي بلخير داهية السياسة وفارس الجهاد الدار العربية للكتاب، ليبيا – تونس 1975 ،.
18. مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية شعبة الوثائق العربية ملف أحمد المريض وثيقة رقم 19.
19. ميخائيل، هنرى أنيس ، العلاقات الانجليزية الليبية ، الهيئة المصرية للتأليف والنشر 1970 .
20. ميكاكي ، ردولفو ، طرابلس تحت حكم أسرة القرمانلي ، تعريب طه فوزي ، دار الفرجاني طرابلس –ليبيا 1911.
21. نيقولو ماكيافللى ، مطارحات ماكيافللى ترجمة خيري حماد، بيروت منشورات دار الآفاق الجديد 1979، الطبعة الثانية .
22. الهرماسى ، محمد عبدالباقي ،المجتمع والدولة في المغرب العربي ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت 1987.
23. هلال ، جميل ، دراسات في الواقع الليبي ، مكتبة الفكر ، طرابلس–ليبيا 1967.
24. هويدي، مصطفى، الحركة الوطنية في شرق ليبيا خلال الحرب العالمية الأولى – مركز جهاد الليبيين ضد الغزو الإيطالي 1988.
25. الوافي ، محمد عبد الكريم ، الطريق الى لوزان ، دار الفرجاني طرابلس– ليبيا 1980 .
26. Lisa Anderson. The State and Social Transformation in Tunisia and Libya, 1830-1980, Princeton (1) Studies on the Near East (Princeton, NJ: Princteon University Press, 1986), P 208.
27. Ottone Gabell,LA Tripoli Tarua AellaJuerra Monaialeall AventoaelFascisna, romalrold, 1937, p17 (5)